(١٨)

تواجدت بحاضرك تواجدا لقبلك من قديمك
وكل شيء تواجد قديما من أجلك
وجددته بك فيك لك من فعلك
بوحدانية نفسك
عَلَمًا على وحدانية قديمك وقادمك لجنسك
في وحدانية معبودك لموجودك
في وحدانية الله

حديث الجمعة

٢٤ محرم ١٣٨٤ هـ - ٥ يونيو ١٩٦٤ م

{فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه}[١] {ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى}[٢]

{رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي}[٣].

{والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا}[٤].

(سألت الله وهو بي حفي أن يجعل من آبائي ومن أبنائي من هو أكثر معرفة به مني)[٥]. {قل جاء الحق وزهق الباطل}[٦].

قول عن آدم ينبأ عنه، ومقالة عن لسان إبراهيم جعل في بيته الكتاب والنبوة، وتعريف من عيسى عن نفسه في قانون الفطرة لوجوده وتواجده شرف بها الإنسان. جمعها محمد في قيامه جماع شرف الإنسان، فرعا عن قديمه لأزله، وأصلا من خلاله تدانى أصوله لأبده لتكون بجديد لها من مجالاتها فرعا عنه فيه. هو لها أصل الأصول لمدينة علمه، عَلَمًا على معلومه، ليظهر رسول الله وتمام رسالته.

فكان جماع كلمات الله وروح قدس الله ورسول قديمه إلى قادمه، وعبدا وحقا لله. حَيَّا الآباء والأبناء بدعائه، وأرضاهم بدعوته، ورضيهم لنفسه، وارتضوه لأنفسهم، في معروف الله له، وفي معروف الله لهم، في معروفهم عنهم، في وحدانية الإنسان بمعناه لربه وعنوانه عنه منه، ظهورا لله من كنزيته.

وهذا ما يقوله كل من عرف عن الله.. كل من عرف عن الله في نفسه.. كل من عرف عن الله من حوله.. كل من صفت نفسه، وتسامت أخلاقه، وتطور بالوجود في الوجود خلقه، متخلقا بأخلاق ربه قائمة في خُلق رسوله مثلا أعلى يرتضيه، قائما متجددا بمن يقتديه، كل من عرف أن الله ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان، وعرف الله ظَاهرا في أزله ظهوره في أبده، ظهوره في قائمه، ظهورا لقيامه بموحده مع قديمه وقادمه بعبودية قائمه لقيومه.

بهذا يؤمن وله يكشف كل من وحد الله، ودخل في حصن لا إله إلا الله، لا شريك له منه في مسيره إلى نفسه، ودخوله قبلته من قلبه، في اهتدائه بعقله، وفي استقامته بضميره، بمعاملته بعمله في صحبة لمَثل أعلى يرتضيه متخلقا بأخلاقه برسوله يقتديه، {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}[٧]، لا يرى إلا الله إذا ما انعكس إلى نفسه، ولا يرى إلا الله إذا ما نظر بصفائه لجنسه، وبعلمه لوجوده، في مشهوده لعين كبيره في حقي تواجده.

السماء من أجله خُلقت، والأرض من أجله وضعت وبسطت، والعدل الإلهي في الوجود قام لإنصافه، والرحمة قامت لإسعافه، وعزة الله له لتدفع العوادي عنه، ولتبرز بالعزة منه، عذابه في ظهور العزة عليه، وفتنته في قيام البطش بالعزة منه.

الإنسان.. إذا آمن بنفسه إنسانا، فعرفه لأزل الجنس عنوانا، ولقادم الجنس ابتداءً وبنيانا، عرفه بيتا وضع أو لبنة فيه، وعمل باستقامته بيتا يرفع أو لبنة فيه، فلم يرَ في الوضع انحطاطا، ولم يرَ في الرفع انشقاقا، ولم يرَ في الجزء بعضا لأنه رآه متحدا، بيتا يذكر فيه اسم الأعلى، ويذكر هو به الاسم الأعلى، ذكرا محدثا يراه، لذكر قديم خلقه فسواه، وجمعه فبناه، ورفعه فوالاه، ووضعه فتولاه، فأكرمه في مبناه، وأكرمه في مسعاه، وأعانه في مرتقاه إلى معناه عَلَمًا على مولاه، من كان له برحمة مولاه، يوم تولاه، عبدا لله وحد الله فكان وحدانية الله رحمة مهداة.

الإنسان.. دائرة وجوده، يوم ينعكس إلى نفسه موجودا، فيُكشف له الغطاء عنها وجودا، لربه شهودا، وباسمه مسعودا، وللأكبر لوجوده وجها وعَلَمًا مشهودا. ما كذبه الفؤاد يوم رآه، زحزح عن النار وأدخل الجنة وفاز بالعتق من سجن المادة، وفاز بالحرية وقد تحرر من عجز الطبيعة، سَبحا في

الكون وفي الوجود، حرا طليقا، السموات والأرض له دار ومزار، فهو أكبر من السموات والأرض حقيقة وإنسانا. وُضع عنه وزره، وخف في السبح حمله.

الإنسان.. نقطة دائرته، وقبلة وجوده لسر موجوده، فهو قبلة الصلاة، وكعبة الحياة، لعالمه بيتا يذكر فيه اسم الله، جُعلت الشمس عليه دليلا، {وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا}[٨]، (آخر من يخرج من النار يعطى عشر أضعاف هذه الدنيا)[٩].

الإنسان.. أوجده الموجود الأزلي لنفسه، فالإنسان موجود أزلا في خالق الآزال به، في المطلق، المنفرد، الفرد، الواحد، الأحد، اللانهائي، العزيز على النوال، المترفع عن المثال، المعروف بلا أقوال، واجب الوجود بلا أحوال، من خلق الحال والأحوال، ومن أبدع المجال وصاحب المجال، من تجلى الإنسان مدانيا، فما عرف بذات، ولا بصفة، ولا باسم، إلا بذات الإنسان، وبصفات الإنسان، وبأسماء الإنسان، عَلَمًا عليه لأعلامه، عند طالب المعرفة عن نفسه في العلم عنه، بإدراك وحدانيته، بالدخول في حصن لا إله إلا الله، وفي القيام بقيام إنسانها في قيام محمد رسول الله. به قام وفيه بالسجود للأعلى تقلب، فأسجده لمن له سجد، واصطفاه لمن له اصطفاه، وأشهده من له أشهد، فأوجده لمن له أوجد، فآمن بالله ورسوله، ثم لم يرتب، فقد كان محلا لله ورسوله كلمة صدرت عنهما، وقامت بهما في المعروف الأحد، في الموجود المطلق...

ثلاثة في واحد، ثلاث حقائق لحق أكبر أحد، يقومها الإنسان في الإنسان فيمن تسامى عن الاتصاف لوعي الخلق باسم الخالق، كما تسامى عن اسم الحق عند الحقائق. لا تعلم له سميا من ذات، فإلى ذاته الأعلى لا تنال، تنسب أقداس الذوات ولا تعلم له سميا من اسم، فكيف يشير إليه اسم وممن ولمن، وإليه تنتهي كل الأسماء انتهاء مسمياتها إلى عَلِيّ ذاته لا شريك له!

ظهر بمن تولاه وليا، وظهر بمن رحمت به رحمته رحمانا رحيما، وظهر بمن أكرم به كرمه الغني الكريم، وظهر بمن كان علمه عنه بعلمه عنه فعلم به المحيط العليم، وظهر بمن كان كلامه فكلم به باسمه الكليم للكليم. ظهر بالإنسان للإنسان رب العالمين، ودانى بالإنسان من الإنسان رب الناس، ملك الناس، إله الناس، ربا وإلها اتحدت فيه الأجناس، وتلاشت في وجوده الأخباث والأنجاس، وقام بحقه الناس حقائق يوم أصبحوا باسمه (اللهم) ناسا، نخاطبهم من وحدانية حقهم وقائم أمرهم رسولا من أنفسهم: أيها الناس.

الإنسان.. خُلق به الزمان يوم ولد بالعنوان، وخُلق به الزمان يوم هاجر لطلب الإحسان، وخُلق به الزمان يوم بُعث بالحق للعيان، وخلق به الزمان يوم فارق البنيان ليظهر وحيا بالعنوان. خُلق الزمان

بمحمد يوم ولد، وخُلق الزمان بمحمد يوم هاجر، وخُلق الزمان بمحمد يوم احتجب وتكنز، وخُلق بمحمد الزمان كلما بعث كلمة لله بإنسان، على ما تواجد به عيسى معنىً له بالعنوان. فالإنسان خَلْقُ الزمان في الله دهرا للدهور، والإنسان في دهور الله ودهره الجامع، دهرا للتواجد للوجود، زمانا لا يُعرف له بدء، ولا يدرك لوجوده شهود.

وفي الإنسان، وبالإنسان، خُلق المكان، إذ بدأ مكانا لا يكاد يدرك للعيان، علقة بإنسان، وبويضة من إنسان، ثم طفلا للعيان.. ثم صبيا نافعا.. ثم شابا يافعا.. ثم رجلا مندفعا، ثم شيخا حكيما منطويا. هكذا هو من علقته إلى شيخوخته تواجد فكان، فشغل من الوجود حيزا ومكانا، فعرف الحيز والمكان، وأدركت الذات للإنسان عند الإنسان.

كان حيز الحياة معنىً وجوهرًا، ومكان الذكر هيكلا وعالمًا وبيتًا، وللرحمة اسما وعلمًا، عبدا للديان، ووجها لواجب الوجود بوجوده، وللمعروف بمعاني عبده في شهوده. أَفيقف به حقه في تواجد الزمان والمكان به إلى نهاية في هذا العنوان؟ {أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى}[١٠]، إنه في معراجه من ذاته من المادة، من الشيء من اللطيف المتكاثف، ومن الكثيف المنطلق المتلاطف، ينتظره كيان وكيان وكيان، {لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون}[١١]، وإذ قلنا للسماوات والأرض {ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين}[١٢]، وما خوطب في خطابهما إلا الإنسان، لو عُرِف لهم الإنسان، لو يعلمون عَمَّن تواجدها له عنوان.

ما خلق قديم الإنسان جديد الإنسان، إلا ليُعْرَف.. ليُعْرَف عند جديده، بوحدانيته مع قديمه، بقيام قديمه لجديده عينه لعينه، قاب قوسين أو أدنى، في الأكبر لهما، خَلَق فسوى، وقدر فهدى. (إن الزمان استدار على هيئته كيوم خلق الله السماوات والأرض)[١٣]، يوم بُعث محمد إنسانا يخاطب من غيب السماوات والأرض {استقم كما أمرت}[١٤].

الإنسان.. هو خِلقة الإمكان، ضعيفا قُدِر، وذليلا أُعِز، وخافيا أُظهِر، وباطنا أُخرِج، علما على معلومه. هو {الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}[١٥]، قَدَّر فهدى، وأخرج المرعى، فجعله غُثاءً أحوى.

الإنسان.. يوم يعرف معنى الإنسان، يعرف الإنسان ربا مكلفا، ويعرف الإنسان إلها مشرفا، ويعرف الإنسان عبدا متصفا في مطلق الإنسان، علما على مطلق إنسان الله. سبحان الله، وتعالى الله، فما قُدِّر الله حق قدره، وما تعالى الله عند مؤمنه وعارفه، إلا بمعرفة الإنسان فيه، لعين قيامه، عند قائمه.

هذا كله، وأكثر منه، يُدرك ويُعرف، ويُكشف، ويُعلم لطالبه، يوم يدخل الإنسان في لا إله إلا الله، فيقوم بلا إله إلا الله، فيشهد لا إله إلا الله، ويُشهد لا إله إلا الله، قياما وظلا لإنسان حقها، وحق معناها، محمد رسول الله، ربا يرعاه، يقوم عليه رحمة الله، ويشهد عنده وجه الله، ويشهده به وجها لله، يوم لنفسه يرتضيه مثلا أعلى يستويه، ويطلب من الله برحمته به أن يبقيه ظلا له في وجوده، وعَلَمًا عليه بكرمه وجوده، كتاب لا إله إلا الله يأخذه، وبيمينه يشهده، وبقلبه وعقله يتبناه، فيقرأه في الناس على مكث، باسم من تولاه، وبالأكبر والاه، فكان شعارا للا إله إلا الله، ولدين لا إله إلا الله، ولفطرة لا إله إلا الله.

ها نحن في هذا العصر، بالعلم الروحي يأتينا من الغرب، ويأتينا كما أتانا من قديم من الشرق، برسالات الله من قديم الإنسان، ها نحن نستقبله، في بقعة من الأرض لا شرقية ولا غربية، نستقبله من الشرق حديثا وقديما، ونستقبله بيننا متواجدا، وفينا وبنا ومنا متجددا، ومن الغرب قادما، عِلما وحكمة ودينا لرب المشارق والمغارب، نتخذه وكيلا، ونرى في الوجود عليه دليلا، نهتدي على ما هدانا، ونتجه على ما وجهنا، {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[١٦]، ونجري التجربة متابعين، برسول الله وربه مؤمنين، ولله ورسوله عابدين، ولقبلتهم بالإنسان ساجدين، ولما أمرنا به في كل دين طائعين، لا نفرق بين المرسلين، ولا بين دين ودين. ونسمع للمتكلمين، ونسير خلف المتقين، متابعين خاشعين، إيمانا بالرحمن الرحيم، إنصاتا للحق الكليم.

نحن بضمائرنا.. بصفائنا.. بخشيتنا.. برهبتنا.. بضعفنا.. بسجودنا.. بإيماننا.. بيقيننا.. قائمين، ولحكمة الله مستقبلين، ولما عرفنا منها مرددين، لمن حولنا منصفين، ولله محيطا مقدِّرين، ولله قيوما على قائمنا كاشفين، غير ظانين، ولا مرتابين، وبالرسول في ضمائرنا قائمين، وإلى الله بعلي ذاته في عظمته مفتقرين، وبالله في قربه ورحمته معتزين.

نحن لا نُخدع بالطاغين، ولا نستمد من المرتابين، ولا نتعلم من الظانين، ولا نعتدي على المخالفين، ما كنا في سربنا آمنين، وفي بيوتنا منهم مطمئنين، فلسنا من العادين، ولا نحب المعتدين، ولا نظاهر الظالمين.

نحن بالحكمة المقسطين.. ونحن بما عَلَّمنا الله المعلمين.. ونحن بما عَلّمنا عنه، في دوام المتعلمين.. نحن العالمون الجاهلون، ونحن الجاهلون العالمون.. ونحن الراضون عن مخاللهم من الرحمن.. ونحن الغير راضين عمن خالل الرحمن من أنفسهم، لأنفسهم متهمين، ومن كبريائها حذرين. {إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى}[١٧].. ونحن لا نريد أن نكون من الطاغين يوم نرانا من المستغنين.

إن حكمة الله، عَلِمَناها تدعونا أن نكون في دوام من المفتقرين مهما أغنى، ومن الجاهِلين مهما عَلَّم، ومن الضعفاء مهما أَعز، ومن الطالبين مهما والى. عَلَّمنا هذا عبد ربه من المطلق، ومعلوم الإله وجها للناظرين، ورب الرحمة للعالمين، والحق المداني للمتحققين، والسر الناطق في المتكلمين، ذاتا وروحا في الأولين والآخرين، رسول الله لا تفتر رسالته.. عبد الله لا تعوج طريقته.. حق الله قيما على القائمين، بدين القيمة.

جُعل الدين في لقائه.. وجُعلت الحياة في ولائه.. وجعلت المعرفة في جزائه.. وجعلت الحقيقة في ظلاله.. وجعلت الشريعة في سنته وأقواله.. وجعلت السياسة في وعيه وتدبيره وأحواله.. وجعلت الكياسة في ارتضائه واقتدائه.. وجعلت الشفاعة في بيته وعترته.. وجعلت الصلاة في وجوهه وقبلته، وجعل الحج في الطواف حوله، والفهم فيه.

إن علم الروح في هذا العصر، كشف وبَيَّن وأبان عما جاء به هذا الرسول، بكتابه وسنته، بذاته وعترته، على اجتماع في صعيد، وقد جاء به الرسل من قبله ومن بعده، على افتراق في بعيد من أمم الأرض وبقاعها، فقام شهيدا على الشهداء كلما شُهد، وقام شهيدا بيننا كلما تحدث، فكلمة لله بين الناس وجد، نبي الأنبياء، ورسول الرسل، وكلمة الكلمات، وروح الأرواح، وإنسان الإنسانية، كما هو إنسانية الإنسان. قام فيه عيسى فدعا الناس إلى أخوته، وقام فيه موسى فبشر الناس بكلمته، وقام فيه آدم بعد أن قام فيه فتمت في الله حقيقته، وظهرت منه كلمته.

ها نحن نطمع من هذا العلم الروحي في العصر الحديث أن يواصل ما بدأ وهو مواصل، وأن يكشف عن عظمة الإنسان عند الإنسان حتى نقدر عظمة العنوان بعبد الرحمن، ندرك ضآلة الإنسان في الإنسان، حتى لا يهلكنا الطغيان ويضلنا البهتان.

إن الإنسانية في الإنسان، سواسية كأسنان المشط، عند إنسانها وجوها له. وإن إنسانا لإنسانيته، مع إنسان بإنسانيته، في إنسان أزل الإنسان، سواسية كأسنان المشط. إن آحاد الله بالإنسان لا عد ولا حصر لها. وإن وجوه الإنسان له فيه لا عد ولا حصر لها.

{ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا}[١٨]. لا ينتظم حال الإنسان في البشرية، ولا ينتظم حال الإنسان في معراجه في عوالم الروح، ولا في عوالم الكواكب، إلا بمعرفة الإنسان في عظمته برحمته للإنسان في ضعفه وافتقاره، بجهله وكنوده لربه ومشهوده قائما في حيواته بأطوارها لرحمة موجوده، وقيام وبعث موعوده وجها متميزا لوجوهه برسوله وحقه ووجه شهوده، {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}[١٩].

الإنسان المرشد.. والإنسان المسترشد.. كلاهما إنسان، ولكنهما إنسان في الأرض، وإنسان في السماء، وبينهما ما بين الأرض والسماء. ها هي الأرواح المرشدة، إنسانية الأعلى.. إنسانية الرشاد.. إنسانية العباد للمطلق.. إنسانية الآلهة بحقائقها، لمن يطلب الإله لمعرفته في نفسه، إنسانية الأرباب رحمة للعالمين، لمن والاهم رابين، وما والاهم من والاهم إلا يوم شهدهم، في وسيط قيامهم من أنفسهم معنى رسوله من أنفسهم نائما عنه بينهم، متحدثا بقيومه على قائمه إليهم، فيشهد معاني العبد في قائم الوسيط، يقوم بمعاني الخلق لنفسه بذاته، ومعاني الخالق لمرشده بمعناه.

الروح المرشد.. قائم بذاته بوسيطه في قبلة وجوده، بين المصلين له غيب وجودهم. به له يقوم شهود ربهم لهم في رسول من أنفسهم بوسيطه.

وهذا ما عناه رسول الله إلينا، وعبد ربه رسول المطلق إليه، وقدس إلهه عند الطالب لوجه الله، ورب المسترحم رحمة الله لقالبه، وفيض المغني للمفتقر، ونور الموجد للمتواجد، وروح المحيي للأرواح الحية، بقوله (بينا أنا نائم أطوف بالكعبة رأيت رجلا آدم، قلت من، قيل ابن مريم، ثم رأيت رجلا أحمر بدين، أعور العين، كأن في عينه نبقة، هو أشبه الخلق بفلان "رجلا سماه"، قلت من، قيل الدجال، والله ليس بأعور)[٢٠].

إن محمدا عليه السلام والصلوات، له أسفله حقا مدانيا عبدا لروح، وله أعلاه روحا متعاليا، روحا لذات. فقد كان محمد بمبناه وبمعناه قياما مضافا إلى الله. فكان للحق هيكلا بمبناه، وللحق معنىً بأعلاه، فما عرفه في معناه، وما قامه في مبناه، إلا الأعلى والاه، ورفيقا داناه، وحقا، وإنسانا، خالَله، فأولاه، وخَلَّفه، وتبناه، ولأزلي الإنسان نسبه ووصله، فعَبَّده وأعلاه، فكان حقا عبدا لمطلق الله، إنسانا في أزل إنسان الله.

ذكر الله وحده فما ثناه، وذكر الله وحده وما لنفسه في نفسه دون غيره ادعاه ونفسه فيه أعلاه، ولكنه لنفسه أفنى، فمسحها عن موجود وجود الله في وعيه لمعناه، فكان مسيح الأعلى مسيحا لأعلاه، فما ذُكر ممسوحا، ولكن ذكر قائما، فذكر الله، ذكر الله وحده، وعرف نفسه عبده ومسيحه، ووجهه إليه، ورسولا منه إليه فما أعلى أناه. وخفض جناح الذل من الرحمة مرضاة لمولاه.

فيا أيها الناس.. لِمَ هذا الكنود؟ لمَ هذا الجحود؟ أإذا ذكر الله وحده كفرتم بمن ذَكَّر بالله ذكرا محدثا لله لذكر قديم لله، مذكِّرا أهل الذكر في ذكر قائم به، ألا يذكروا إلا الله، وألا يذكروا غيره من وهم بوجود، بممسوح وجود، أو بممسوخ تواجد، غافلين عن معاني التواجد والوجود، معدوما ميتا بغير الله؟

لِمَ لا تذكرون الله وحده، فتستقبلون بوجهه لكم وجهه منكم، مسحاء ذكره، ذكرًا لله بينكم، وجوه شهوده، وأيدي جوده؟ جعل الله كلامه على ألسنتهم، وقيامه في مرسوم قيامهم، مسحاء الأعلى مسيحا، مثاله ملأ للأعلى مسيحا، حتى نعلم أنه على الله لا يُعلى، وحتى نؤمن أن غير الله لا يُذكر، فيرفع شعار حقه بلا إله إلا الله في عالم خلقه، حتى يعلم أنه لا إله إلا الله مشهودا من رسول الله، ومسيح الله، وكلمة الله، وقائم الله، وحق الله، ووجه الله، لمن كان مسيحا له فشهده فعلا شعارا للأكبر، شعار الله أكبر، فيُقدَّر الله بذلك يوم يقدر، ويقدِّر الله بذلك يوم يُقدِّر، فيدرك الإنسان نفسه، نفسا لله، وذكرا لله، عين مذكوره، فلا يذكر إلا الله وحده، جلت وتعالت ذاته في جلال عليائها، وحمدت رحمته في جمال وقرب مداناتها، للإنسان اسما وأسماءً لله وصفات له.

هل نطمع، وإنا لنرجو ونطمع أن يقوم العلم الروحي في هذا العصر قريبا بخدمةٍ سبق أن وعد بها في هذا الاتجاه حتى يتجدد بدء وسفور الطريق، وقد أسفرت بوسطائه لقديمها من مرشديها وأئمتها، كما تجدد به البلاغ بحكمة مرشديه، وكما تجدد به البيان لما بلغ من حكمة مع مرسليه، فيكشف لنا عن كلمات الله بيننا، وأوادمه لنا، ووجوه رسوله من أنفسنا. هدانا الله وإياكم بمرشدي السماء، وبوسطاء الأرض، في كل وقت وحين. وهدانا الله في أنفسنا برحمته، وما هي إلا رحمة الله بهم تمتد إلينا، في عالمنا، ونطمع أن تمتد إلينا في ذواتنا وقيامنا، حتى يشرق نور الله بين جوانحنا، وحتى تُشعل شعلة الحياة في مصابيح مشكاتها من صدورنا بقلوبنا، فنعلم أنه لا إله إلا الله، ونعلم أنه محمد رسول الله، ونعلم أن قيامنا بإنسان الله، وإنسان رسول الله هو قيامنا بين يدي رحمة المطلق، نقوم بهما قياما له بكلماته بنا في قيامهما بنا، فنردد ونردد، لا إله إلا الله، والله أكبر، ونشهد محمدا رسول الله، ونعرف أن محمدا لنا ومن وعينا، ولقيامنا أكبر وأكبر وأكبر.

اللهم إنا بلطيفك، وبشرف تشريفك، نرى آياتك تترى في الآفاق وفي أنفسنا على ما أنبأت، ونرى الأرض أخذت زخرفها على ما أشرت، ونرى فراعينها فرقوا أهلها شيعا، وأذلوا الناس قطيعا يسوقونه، حيوان مزرعتهم، ولا مزرعة ولا زرع لهم، ولكنه الطغيان على ما حذرت.

ها نحن نرى فراعين الأرض يعبثون بسلمها وسلامها، فأين رحمتك بفراعين السماء، وقد جعلت الكبر على أهل الكبر صدقة، ووعدت أنهم يومئذ يجيبون الداعي لا عوج له، تخشع الأصوات للرحمن، ولا يسمع إلا همس النفوس، قلوبهم واجفة، أخذتهم رجفة الحق، فارتجفوا، وما شرفوا، وجوه خاشعة بفقدان كبريائها، يوم تجلى الله بكبريائه بإنسان رسالته جعل له عزته، فضاع واندثر كبرياؤهم، خشعا أبصارهم ترهقهم ذلة. (وا عجبي من أناس يجرون إلى الجنة بالسلاسل)[٢١]، (اذهبوا فأنتم الطلقاء)[٢٢]، ولا عجب وأنت رحمته للعالمين!! (أمة مذنبة ورب غفور)[٢٣]، طأها {وما رميت إذ رميت

ولكن الله رمى}[٢٤]، {جاء نصر الله والفتح}[٢٥]. ها هي آياتك في الآفاق، وفي أنفسنا، ترهص أنه سيتبين الحق، وسيبرزه الله للناس جميعا، إنسان ارتضائه، فيتكشف للناس ضيعة الناس لأنفسهم، يوم أنكروا ظاهر حقه مدانيا برسوله، ليكونوه يوم يتابعوه رحمة مهداة.

إن الناس سيشهدون يوما لا يجليه الله إلا بغتة، يبدأ بساعة تبهتهم في السموات والأرض، كل من في السموات والأرض آتيه عبدا، فما قدروا الله حق قدره، وقد اتسعت السموات والأرض لسلطان عبده، وطواها فيه عبده، ولم تتسع لمطلق الله، (إن لله ساعة إطلاق لا يطيقه فيها نبي ولا ولي)[٢٦].

يا سيدي يا رسول الله.. يا من جئتنا فجاء بمجيئك الحق، ويا من شهدناك فشهدنا في شهودك الحق، وما شهدناك إلا يوم أشهدتنا برضاك، يوم أنَّا مثلا أعلى عرفناك، وعرفنا أن لله المثل الأعلى في السموات والأرض.

يا سيدي يا رسول الله.. قامت قيامتك في كل نفس عرفتك، وكانت لك ساعتك في كل نفس برحمة باغت، ولكن الأرض تحت قدميك، والسموات بين يديك، فمتى تطأها؟ ومتى تظهر لأهلها، طاويا لها، منزوية لك، رحمة من الله؟ يا أكبر وأيسر وأوسع رحماته، وأصدق آياته، وأشرق كتبه، وأسطع أنواره، وأجل وجوهه، وأجمل تجلياته، وأوفر نعماته، وأغدق حيواته، يا أحواض الحياة، ويا شموس الإشراق، ويا بدور الدلالة، ويا أراضي النشأة.

نعم عرفنا وآمنا أن الزمان قد استدار على هيئته كيوم خلق الله السموات والأرض، يوم بعثك بالحق، وابتلانا فيك يوم خلفت علينا فيه، واخترت الجوار للأعلى معنى لك. نعم ما اخترت الجوار للأعلى إلا رحمة بنا حتى تكون أمكن في خدمتنا.

يا سيدي يا رسول الله، يا من علمتنا شرف الخدمة وما زلت، يوم بذات وروح مجتمعين ومفترقين خدمت، ولجناح الذل من الرحمة وضعت، وللسلم جنحت وما زلت، وها أنت أنت على ما كنت، ذاتا وروحا مجتمعين ومفترقين في خدمة الوجود، رفعت ووضعت لتعلِّم على ما عَلَّمت، ولتقوم على ما سبق قمت وأشهرت.

أمتك يا رسول الله.. متى فيها قيامتك، لعلميتك، لعلم أهلها، بأمم الأرض فيها، أمة لك، في أمة قديمك، لحقك بجديدك؟ يا قديم الإنسان، يا محدث الإنسان، يوم وجدت بيننا بمعاني الوليد، يا قادم الإنسان، يوم تبعث بيننا تنشق الأرض عنك بمعاني الجديد، لقديم وجودك، في قديم وجودنا، لعين إدراكنا وشهودنا، إعلاما عن معلومك، لقانون الفطرة، في قائم الفطرة، في دائم الفطرة، بدائم فطرتك، على سنن الله في صمده لوجوده وهديه بك منه إليه.

متى يا رسول الله؟ متى نجدتك؟ متى جديد شرعتك.. على ما شرعت؟ متى هشم الظلم على ما هشمت؟ متى محو الباطل كيوم محوت وأبطلت؟ متى الإسلام غريبا، وها هو نشهده غريبا؟ متى يبدو كما بدا؟ متى يسطع كما سطع؟ متى ينتصر كما انتصر؟ متى ينصر كما نصر؟

ها هي الآيات في الآفاق وفي أنفسنا.. ها نحن نرجو.. ها نحن نطمع.. اللهم به فارحمنا.. اللهم به فتولَنا.. اللهم به فأنقذنا من ضلال أنفسنا، ومن ضلالة من حولنا.. اللهم به فولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا.. اللهم فعاملنا بعفوك ورحمتك، وأقلنا من عدلك ومن غضبتك.. اللهم به فأصلح أمورنا، وأنزل السكينة على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا، وقوم فيك طريقنا، وأصلح أمرنا، لا إله غيرك ولا معبود سواك.

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة البقرة - ٣٧

٢ سورة طه - ١٢٢

٣ سورة إبراهيم - ٤٠

٤ سورة مريم - ٣٣

٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٦ سورة الإسراء - ٨١

٧ سورة آل عمران - ٦٤

٨ سورة الأحزاب - ٤٦

٩ في إشارة للحديث الشريف "إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا." أخرجه البخاري ومسلم.

١٠ سورة القيامة- ٣٦:٣٧

١١ سورة غافر - ٥٧

١٢ سورة فصلت - ١١

١٣ حديث شريف: "إِنَّ الزَّمانَ قَد اسْتَدارَ كَهَيْئَتِه يَومَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَواتِ والأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاثٌ مُتَوالِياتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وذُو الحِجَّةِ، والمُحَرَّمُ، ورَجَبُ، مُضَرَ الذي بيْنَ جُمادَى، وشَعْبانَ. صحيح البخاري.

١٤ سورة الشورى - ١٥

١٥ سورة طه - ٥٠

١٦ سورة الذاريات - ٢١

١٧ سورة العلق -٦

١٨ سورة الإسراء - ٢١

١٩ سورة آل عمران - ٦٤

٢٠ إشارة إلى الحديث الشريف: "بينما أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة، فإذا رجل آدَم سبط الشعر، بين رجلين ينطف رأسه ماء، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا ابن مريَم، ثم ذهبت ألتفت، فإذا رجل أحمر جسيم، جعد الرأس، أعور العين، كأن عنه عنبة طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: الدجال، أقرب الناس به شبها ابن قطن.." أخرجه البخاري ومسلم باختلاف يسير. وعبارة "إن الله ليس بأعور." جاءت في حديث آخر للبخاري ومسلم أيضا.

٢١ حديث شريف: "عجِب اللّه من قوم يدخلون الجنة في السلاسل." صحيح البخاري. كما جاء بلفظ "عجبتُ لأقوامٍ يُقادونَ إلى الجنةِ في السلاسلِ وهم كارهونَ." أخرجه ابن الأعرابي في معجمه، وأبو نعيم في حلية الأولياء.

٢٢ من حديث شريف، رواه ابن إسحاق، كما في "سيرة ابن هشام": أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يوم فتح مكة، قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ... إلى أن قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تُرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ.

٢٣ حديث شريف: "دَخَلْتُ الجنةَ فرأَيْتُ في عارِضَتَيِ الجنةِ مكتوبًا ثلاثةُ أَسْطُرٍ بالذهبِ – لا بماءِ الذهبِ: السَّطْرُ الأولُ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ. والسَّطْرُ الثاني: ما قَدَّمْنا وَجَدْنا، وما أَكَلْنا رَبِحْنا، وما خَلَّفْنَا خَسِرْنا. والسَّطْرُ الثالثُ: أُمَّةٌ مُذْنِبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ". أخرجه الرافعي في تاريخه (٣/ ٩١) ، الإمام أبو القاسم في تاريخ قزوين، وابن النجار في تاريخ بغداد عن أنس ابن مالك. ويعتبره المحدثون ضعيف الإسناد.

٢٤ سورة الأنفال - ١٧

٢٥ سورة النصر - ١

٢٦ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.